

الحشة تستيقظ

ان رسل الممران الاوربي يطرقون الابواب على بلاد الحشة كما طرفوها من قبل على الصين واليابان وغيرها . فإيطاليا تطلب امتيازاً بإنشاء سكة حديدية فيها وقد زار الدكتور أبروتزي عاصمة الحشة لهذا المرض . وبرتانيا تطلب امتيازاً بإنشاء سدر على بحيرة صانا لتحكم في الماء الذي يجري منها الى النيل الأزرق لاغراض الري في مصر والسودان . وجمعية الامم تطلب من حكومتها — والحشة عضو في جمعية الامم — ان تضع حداً لتجارة الرقيق فيها . وقد اهتزت الاندية السياسية والمالية في القاهرة ولندن في اوائل نوفمبر الماضي حين اذبح نياً اتفاق الحشة مع شركة اميركية على بناء السد الذي يطلب البريطانيون امتياز بنائه . فرأينا ان نشر في المقطف خلاصة مقالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة «عمل العالم» لعضو من اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز . وقد قدما لخلاصة مقالته مقدمة وجيزة في جغرافية الحشة ونشرنا خريطةا وفيها يتدل على موقع العاصمة اديس أبابا وبحيرة صانا وكيف ينبع النيل الأزرق منها وابن يسيل في تلك البلاد الى ان يصل الى بلاد السودان

١ — لحة جغرافية

بلاد الحشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري كما ترى في الخريطة المقتبحة مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لا يزيد على اثني عشر مليوناً وبقدرة بعض الباحثين بمشرفة ملايين فقط . وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم لغويون لسقي (نجاشي النجاشين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستثمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم وبحود واسعة في ابحاثها الشرقية والجنوبية تتخلها انهار كثيرة يجري بعضها جنوباً الى البلاد الصومال^(١) وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الانبرا والبحير الأزرق احد فرعي النيل وعليه يتوقف الفيضان

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية عرقة واسمها النمال لانها على نهال من يدخل البحر الاحمر كما ان النبل على يمينه



وسبؤة بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جداً مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي أوسع من مديرتي القليوبية والمنوفية معاً

وأقليم الحبشة حارٌ رطبٌ في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال قلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهایت . وقد نشر بروس أرساده الجيوبية فيها سنة ١٧٧٠ في كتابه المطبوع سنة ١٧٨٠ فكان أعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ أبريل عند الظهر وأخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً . وأعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فأقلها معتدل كأنه في سورية وهي مثل لبنان وسواحلها يرتقي فيها اللسان في بعض ساعات من إقليم حار بكل بميزانه إلى إقليم بارد بكل بميزانه

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من أكتوبر إلى فبراير وهو أشد النصول برداً ويتبعه فصل حار جاف ثم فصل للمطر من يونيو إلى أكتوبر . ويشد وقوع المطر في يوليو وأغسطس وقد يندوم إلى أواسط سبتمبر أو أواخره . والثالث أنه لا يمر شهر من غير أن يقع فيه مطر . أما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو إلى أواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلى البلدان كلها بالمطر المصري فإذا استطاعت أن تحول جانباً من أمطارها إلى ري أراضيها فقدمت تضر بالقطر المصري ضرراً كبيراً

أما نباتات البلاد وحيواناتها فمتأثرة لما في المناطق الحارة والمعتدلة والباردة حسب كونها في السهول أو النجود أو الجبال . ففيها البن وقصب السكر والموز والمان والقطن والنيل والسنط والتزيتون والجبز والزنجبيل والغار واللين والبرتقال والليمون والرماني والشمس والخبوخ والصوبر . وفيها من الحيوانات الخيل والحمار والبغال والسكر كيون وفرس النهر والتمساح والنم والبقر والمعزى والاسد والتمر والضبع والذئب

٢ — خلاصة مقالة المستر راي

تاريخ الحبشة مزيج من الحقائق والأساطير والتقليد وهو مستغرق في القدم وقد دفع إلى الرأس تفري ما كوتن ولي عهد الملكة بقائمة تحتوي على أسماء ٣١٢ ملكاً حكموا ٩٣٠٠ سنة على ما يقولون ومعنى هذا أن أول ملك على الحبشة حكم في سنة ٤٥٣٠ قبل الميلاد أو في السنة السابعة والتسعين للتخليقة حسب معتقداتهم وفي جملة هؤلاء

المملك سلهان ملك اسرائيل ومملكة سبأ ومنها ولد منليك جد البيت اناثك اليوم فكانت
بمقد حكم هذا البيت الى ٣٠٠٠ سنة وهو امر منقطع النظير

وقد كانت الامبراطورية الحبشية في البصور النابرة تنبسط على شاطئ البحر
الاحمر وتصل على الساحل الاقربتي البلاد الممتدة من سواكن الى رأس غردفوى
على الاقل وكانت اساطيلها تجوب البحار الى الهند وفارس وربما محرت فيها الى ما هو
ابعد منها وتوافلها التي ثقفل بضائمتها او تجلب اليها بضائع البلدان الاخرى تقطع
مئات الوف الاميال خارج حدودها. وما ينبغي بما كان لتلك الامبراطورية القديمة من
عظمة ان احد امبراطرة الرومان من ١٦٠٠ سنة ارسل الى الاجاش يسألهم العجدة
وقد وجد كتابة في ذلك الحين الى « امراء الجبهة المسيحية »

وقد آوت الجبهة اقرباء النبي محمد وتحالفت منذ ٥٠٠ سنة مع البرتغاليين على
الترك والعرب والصوماليين الذين استبدوها ولكنها صارت بعد ذلك طعمة للبرابن
الحروب الاهلية واغارت عليها قبائل الجلال من الجنوب فانشطرت الى مملكتين
منفصلتين وظلت هكذا الى ان وحدها الامبراطور تاوضروس ثم جاء الامبراطور
منليك قائماد تأسيس الامبراطورية الاثيوبية القديمة ووطد دعائمها اذ وسع حدودها
موقضى على جميع الملوك الظالمين بها ودوخ اراضي الجلال وهزم دولة اورونية في حرب
طاحنة وها بمن اولاء نرى الجبهة اليوم عضواً في جمية الامم وان كانت قد فقدت
كل اتصال لها بالبحار واصبحت سواحلها مملوكة للاجانب

والجبهة بلاد واسعة تتألف من سلهين مترابين يفصلها الواحد عن الآخر واد
عظيم يقال له وادي رفت وعلى حدودها صحار كبيرة وجبال شاهقة كانها المعامل
ويقدر عدد سكانها من ٨ ملايين الى ١٣ مليوناً وهم خليط من اجناس كثيرة فمنهم
الاجاش والجلال والشكلا والصومال والجوراج والدناكل وسوامم ويتكلمون ٢٠
لغة مختلفة امها اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية وحروفهجها ٢٥١ حرفاً

ويعيش اجاش اليوم كما كان اجدادهم يعيشون منذ ٢٠٠٠ سنة فيفكرون كما كانوا
يفكرون ويسكنون جيماً — اذا استنينا سرانهم — اكواخة مبنية بالطين او الحجارة
وترى خاصتهم تضها ادبس ابايا « ومعناها الزهرة الياقة » وقد اسسها منليك عقب
انتصاره على ايطاليا سنة ١٨٩٦م خاصة بالوف الاكواخ وليس فيها من المباني الحديثة
الا جانب يسير ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠ نسمة

وقد اعتق الأجاش النصرانية قبلما لتنتفها نحن (يقصد قومه الاميركين) ولذلك قصة تشبه أن تكون خرافية نحدثنا عن شابين من أتباع عقيدة الطبيعة الواحدة (وهي التي يشتقونها اليوم) محطمت سفيتهما على شاطئها فهديا سكانها الى المسيحية ولا يزال الاحباش الذين هم أكثر من ثلث السكان يرتدون لباس القديم المؤلف من قميص من القطن وسراويل « وشامة » وهي ملحفة يلتحفون بها في النهار ويستعملونها سرشفاً لفراش النوم في الليل وهو لباس الرجال والنساء معاً من جميع الطبقات ولهم في امر الشامة طاعة غوية فاذا التي لأبسها رجل آخر وسدل هذه الشامة على وجهه فمضى هذا انه أراد احتقاره واما مخرج الشامة عن الكفتين ولها حول الحنصر فهو عندهم غاية الاحترام

وعما ك القضاء عندهم ارجالية فيجوز ان يدعى اي طبر سبيل كان فيجلس للحكم وترى هذه المحاكم قائمة في زوايا الشوارع تصدر احكامها من غير حاجة الى بلاغة المراقبات او الى اضاءة الوقت في سماع المناقشات وتطبق التريعة الموسوية في الجرائم الخطيرة. وكان من الناظر المألوفة الى عهد قريب ان يرى المرء في سوق البلدة اشخاصاً معلقين في المشاق او في جذوع الاشجار . اما اليوم فيعدم القاتل في داخل كوخ صغير وطريقة اعدامه هي ان يطلق اولياء الدم رضاص بتاديقهم عليه

ومن المادات في الحجسة ان يادب البلاط الامبراطوري من حين الى حين مادب رسمية يدعو اليها جميع من في الهامسة من الضباط والجنود والموظفين والخدم والبيد يأكلون فيها اللحم نيئاً فيجلس ١٥ الفاً او اكثر القرنصاء امام مواثد ويطوف عليهم الخدم والجزأرون بقطع كبيرة من اللحم فيأخذ منها كل منهم ما شاء . وقد شهدت انا وزوجتي وليمة من هذه الولائم حضرتها الامبراطورة وقد ضرب دونها ستار من الحرير الاخضر وجلس ولي العهد والرؤوس على منصة قريبة منا وحيء باللحم النيء فوزع على الوف المدعوين على النحو المتقدم وقد قيل لي ان ما ذبح لهذه الوليمة كان ٤٠٠ ثور وهذه عادة باقية من آثار العهد الاقطاعي

ومن بقايا ذلك العهد ايضاً ان كل خادم أو عامل يلتزم بان يتبرع لسيدو بشغل عدة ايام في كل سنة بالمجان فيحرق له ارضه او يقطع له الحشيش او يهد الطرق او ما شابه ذلك

ويحدث احياناً ان تزعم الامبراطورة على تأدية واجب العبادة في كنيسة بعيدة

فلاجل تמיד الطريق الى هذه الكنيسة يأتي ولي العهد ويضع يده حجاراً في اول الطريق ويحذو الرؤوس وكبار الموظفين حذوه وحينئذ ينبري الوف من الناس فيسهدونها وليس في الحبشة مقارن ولا معامل للنسج بل ان القطن لا يزال ينزل بليد كما كان ينزل في العصور الماضية ومحاربت الزراعة هناك من الحب تكاد لا تشق الا سطح الارض والموتى يدفنون كيفما اتفق في مقابرهم في الوقت عينه طرق لسابغة فاذا جن الليل نزلت الصباغ عليها ونسجت على الخيش

هذه صورة للقديم ترى الى جانبها صورة للجديد اذ نجد طرقاً تصعد للسيارات التي يبلغ عددها نحو المائتين في اديس ابابا وتسمع تقرات آلات الخياطة في بعض الحوانيت وفي وسك ان تناول في بيت ولي العهد طعاماً طهي على النمط الاوروي المتنظف وليس في كل تلك البلاد الواسعة من خطوط اتصالات غير خط حديدي واحد (غير مزدوج) يصل اديس ابابا بئر جيوتي ميناء الصومال الفرنسي والمسافة بينها ٥٠٠ ميل ولا تسير القطارات على هذا الخط الا شهراً واذا نزل السيل غطته اما الطرق الزراعية فهي عبارة عن دروب للفواقل

ولا يجوز لاحبي ان يسافر في داخلية البلاد من غير رخصة رسمية على انب الاهلين يسطنون على الاجانب وقد حدث مرة لزوجتي ان كسرت ذراعها ونحن نطوف في ارجاء مملكة فوجام واضطربنا ان نسير بها مسافات محموة على سرير من الشبك يشبه الارجوحة فكنا كما مررنا بقوم ووقفوا على جلية الخير تقدم نقر منهم لحل السرير مسافة غير قليلة والحوا في ذلك

واهل الحبشة اميون ليس بينهم من يعرف القراءة والكتابة اذا استثنينا رجال الاكايروس وموظفي الحكومة في اديس ابابا

وتتألف الطبقة الحاكمة هناك من الامباطورة وولي العهد والرؤوس وحكام المقاطعات او الممالك ولكن اعظمهم كفاءة ومقدرة ولي العهد وهو شاب في الخامسة والثلاثين يعمل يومياً في مكتبه من الساعة صباحاً الى الساعة مساءً مكثاً على اشكار مشروعات الاصلاح للحكومية وانشاء المعاهد الحديثة . غير ان في البلاد قوى عظيمة تقف في وجه مشروعاته لرغبتها في بقاء القديم على قدمه واخصها رجال الكنيسة

اما رؤوس الاحباش فملى جانب عظيم من الفنى وبسطة التوذ وحكام المقاطعات مستقلون تقريباً في مقاطعاتهم وهم لا يتناولون راتباً بل لهم سلطة فرض ضرائب على



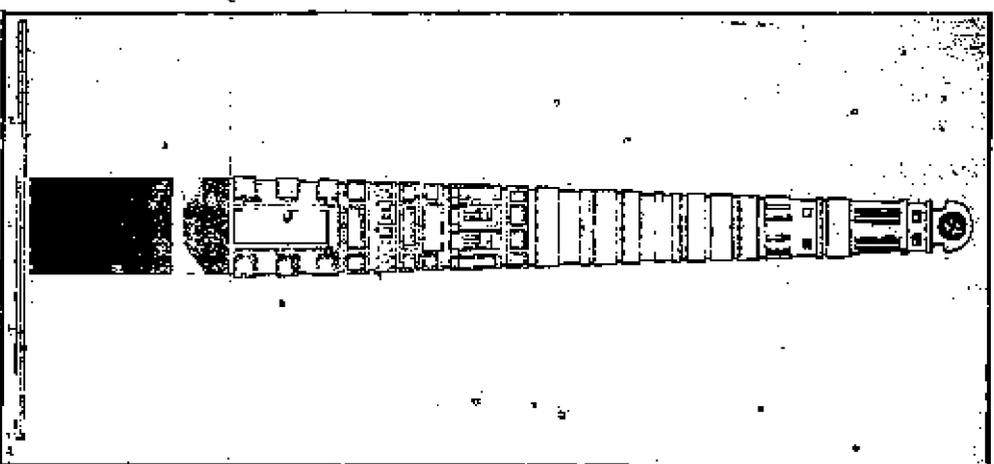


A TABLE OF HIEROGLYPHICS, FOUND AT AYON 1791.

لوح عليه كتابة هيرغليفية وجدت في اكروم بلاد الهند

مقتطف ديسمبر ١٨٢٧

الام المصححة ٤١٧



مسلة من النحاس وجدت في اكروم

الاهلين يجسمونها لانفسهم ويرسلون منها سائلاً الى الحكومة المركزية ويمكن ان يقال ان نفوذ هذه الحكومة لا يتجاوز اطراف اديس ابابا

وكذلك قل عن الكنيسة الحبشية فانها قوة ذات نفوذ وثروة وفي حيازتها ربع اراضي البلاد وقد امتلكت منذ القرن الثالث عشر ورئيسها يقال له (ابونا) وهو قبطي يمينه بطريرك الاسكندرية القبطي وقد انازلت وفاته في سبتمبر الماضي خلافاً مداره هل تستمر البلاد على العادة القديمة فتختار مطراناً من القبط او تصيب لها مطراناً حبشياً وكانت النالية في جانب الرأي الاول كما هي المادة في سائر الامور وتجارة الحجشة لا تذكر في جانب ما يجب ان تكون عليه في بلاد غنية كهذه وقد لا تزيد على مليوني جنيه في السنة والعملة من عوائق نمو التجارة فانهم هناك لا يتعاملون الا بريك ماريا تريبنا النمساوي واذا اراد تاجر ان يتناع محمولاً من الاهلين فعليه ان يتناع كمية من هذه الريالات لدفعها ثمناً للحصول ولا تخلو عمليات شراء العملة من خسارة قد تذهب بريح التجارة

وما اذكره للاعباش انهم شعب نفور اشم انفسهم فتراهم يتبعون غمراً ببلادهم وتاريخهم وديانتهم واتصاراتهم الحربية ولكن يعيبهم انهم شديدو الرية بعضهم يبض فولي العهد مثلاً يرى ضمه مكرهاً على ان يؤدي بنفسه اعمالاً همد من اختصاص صغار مرؤوسيه لانه لا يعتقد بوجود الرجل الامين الذي بكل اليد عملاً من هذه الاعمال ولولا ذلك لتفرغ للمشكلات الهامة التي تصادفها بلادهم واعمالها تنمية مواردها وتنظيم حكومتها ومعالجة الاضطرابات التي تقع على حدودها ومسألة بحيرة صانا والمصالح الابطالية والرفيق وجعية الامم

ولا يتسع المقام للكلام باسهاب عن كل من هذه المشكلات فاذا ذكر منها مشكلة الامتياز الذي تطلبه بريطانيا العظمى في بحيرة صانا بالنشاء خزان عليها لري حقول القطن في السودان ومنصر وما يحسن ذكره هنا ان الزراعة والتجارة في مملكة قوجام يؤيدون مشروع هذا الجزان كل التأييد لانهم يعتقدون انهم ينتفمون به ولكن رجال الحكومة في اديس ابابا يرتابون في نيات امكلاترا والكنيسة تناقض فيه بدعوى ان مياه النيل الازرق مقدسة لا يجوز التعرض لها

ثم ان ايطاليا تطلب امتيازاً بمد خط حديدي وتطلب دول اخرى امتيازات تجارية وهم جراً

ومحالا يقل عن كل ذلك شأناً مشكلة الرقيق وهي مشكلة عسيرة الحل في بلاد اعتاد أهلها اقتناء العبيد . نعم ان العبيد في الاسر الحبشية يعاملون معاملة حسنة جداً ويستبرون كأعضاء في الأسرة ومتى تحرروا وقنوا فريسة البؤس والفاقة ولكن الدول الاوربية ندمهم رقيقاً وقد اصير الرأس تفري مرسوماً يقضي بان ابن البدي يولد حراً واصدر مرسوماً آخر يقضي باعدام من يضبط متجراً بالرقيق فالرجل يعمل باختلاس في مكافحة هذه التجارة لولا النوائق الاجتماعية التي يصادفها من قومه .

٢ — الحكومة المصرية وبحيرة صانا

وقد اوقدت الحكومة المصرية الدكتور غراهام الجيولوجي والمستر بلاك العالم العظيمي من بضع سنوات للبحث عما يمكن ان يعمل للتحكم بما في بحيرة صانا حتى يبقى فيها جانب منه من زمن الفيضان الى زمن التخاريق فحتماً ٣٤ شهراً اي في مدة ثلاثة فيضانات فوجدا الامور الآتية

اولاً ان هذه البحيرة تكونت في عصر جيولوجي حديث من توران بركاني وقت حمة في وادي نسدته حيث وقعت فصار ما فوق السد بحيرة ثانية ان مساحة سطح البحيرة ٣٠٦٠ كيلومتراً مربعاً كان طولها ٥٥ كيلومتراً وعرضها كذلك

ثانياً انه يتحضر من مائها ما سمكه ملستر ونصف في اليوم في شهر اغسطس ثم يزيد التبخر رويداً رويداً حتى يبلغ ستة مئلترات في اليوم في ابريل وفي السنة كلها ١٤٨٠ مليمتر أو نحو متر ونصف

رابعاً ان ما يجري منها من الماء في الثانية من الزمان يكون على اقله في آخر فصل الجفاف وهو حينئذ ١٠ امتار مكعبة في الثانية من الزمان ثم يزيد حتى يبلغ ٥٠٠ متر مكعب في الثانية حينما يكون الماء في البحيرة على اعلاه وذلك في سبتمبر وهذا المقدار اقل من جزء من خمسين جزءاً من الماء الذي يجري في النيل في احوال زمن الفيضان فهذه البحيرة شأن قليل في نقص النيل ولكن اذا اقيم لها سد عند مخرج البحر الازرق منها حتى يسهل التحكم بالماء الذي يجري منها الى النيل كان منها تقع كبير وقت التخاريق لانه يمكن ان يخزن فيها حينئذ ٣٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء . وبناء هذا السد يقتضي نحو مليونين ونصف من الجبهات واذا اريد اصلاح الطريق من النيل اليها اقتضى ذلك نفقات اخرى